تعليق مختصر على خبر

للأســـتاذ علي الطنطاوى

هذا الخبر الذى جاء فيه أن مسيداً فى كلية الآداب ، أعدّ أطروحة ينال بها لقب (دكتور)(١) فلم يجد لها موضوعاً إلا (القصص فى القرآن) ولم يجد ما يقوله عن القصص فى القرآن ، إلا أنه أساطير الأولين ... وأنه كذب مفترى ، وأنه مستمد من التوراة ، ومن أدب فارس ويونان ، وأن الأستاذين الأحدين الفاضلين ، حكما بردّ الأطروحة وإسقاطها ، واختلفا فى تعليل الحكم ، فكانت العلة عند الأستاذ الأمين الجهل ، وعند الأستاذ الشايب الكفر ، وعندنا أنهما معاً ، لأن هذا لا يجيء إلا من ذاك

وفى الخبر أن الذى أشرف على إعداد الأطروحة ، وأعان عليها ، شيخ بعمامة بيضاء من أساتذة الكلية ، وأن هذا الشيخ عزّ عليه إسقاط الأطروحة فغضب (والغضب لله وللحق من الفضائل) وقال : « إنه متضامن مع مقدم الرسالة في كل حرف منها ، وأنه لا ينبغى الوقوف أمام حرية الفكر » .

***

ولو انتهت القصة عند ردّ الأحدين ولم يكن صاحب الأطروحة مدرساً ، ولم يدخل نفسه فيها هذا الشيخ لينصر الكفر ، ويدفع عن الإلحاد ، ويؤيد الجهل ، لقلنا شاب أراد أن يتعجل (الشهرة) قبل أوانها ، ورأى طريق العلم والتحقيق طويلا ، فسلك طريق جهنم وأراد اجتياز الصراط فسقط ... وسكتنا ، ومرّت الحادثة كما مرّت أحداث أمثالها وشرّ منها ، ظنّ محدثوها أنهم هدموا الإسلام ، ونسفوه نسفاً ، وصرفوا الناس عنه صرفاً ، والإسلام لم يشعر بها ، ولم يحسّ بوقعها ، ولم يزدد عليها إلا قوة وانتشاراً ، ولكن دخول هذا الشيخ فى المجادلة على صدق القرآن وكذبه وكون طالب الأطروحة موظفاً رسمياً ، ومسيداً فى الكلية ، أمر لا يسكت عنه ... وهذا الذى نقوله اليوم أول الغيث .

***

ومقالنا اليوم هو تذكير لهذا الشيخ بأنه ليس من أصحاب العقول الكبيرة ، والبحث العلمى ليكفر إذا كفر عن بينة ، وما به إلا أنه رأى أديباً زلّ من عشرين سنة ، وأى أديب لا يزلّ ؟ فقال كلاماً مثل هذا ... فلا اسمه الدنيا ، وشغل الناس ، فأحب أن يكون مثله ، وشتان ما بين الرجلين . وإلا فهل ثبت له بعد البحث والتحقيق ... أن قصص القرآن مأخوذ من التوراة ومن الأدب الفارسى واليونانى ، وأن فيه أساطير لا أساس لها ، وهل وقعت له النسخة المخطوطة بخط مؤلف القرآن الذى هو الله — إذا كان فضيلة الشيخ لا يزال يعتقد أن القرآن من عند الله — فمضّ عليها بالنواجذ ، ليفضح المؤلف ، ويكشف عن سرقاته ، ويشفى غيظه منه . أستغفر الله ، وتعالى عما يقول الكافرون علواً كبيراً .

ولندع الدين ما دمت يا مولانا الشيخ تحسب أن الخروج عليه مدنيـة وتقدم ... وأن الأخذ به رجعية ، وأنك أعلنت الكفر ، وجهرت به ، واخترته والعياذ بالله لنفسك ، ولنأخذ العلم والمنطق والتاريخ ، فهل فى العلم والتاريخ شىء يؤيد ما جاء فى الخبر أن الأطروحة اشتملت عليه ، وما أعلنت أنك مع المؤلف فى كل حرف منه ؟ وبأى دليل من أدلة العلم ، وفى أى كتاب من كتب التاريخ ، ثبت لك ولصاحب الأطروحة أن الله قد اقتبس قرآنه من أدب فارس ويونان ، ومن كاذب الأساطير ؟

وإذا لم يكن القرآن كتاب الله ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لا من جهة فارس ولا من جهة يونان ، وكان من تصنيف محمد ، وكان قد اقتبسه من التوراة ، ومن آداب الأمم ومن أساطيرها ، فكيف خفى ذلك على أسلافك من أنصار حرية الفكر ، من اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة وكل عدوّ للاسلام خصيم للقرآن — فلم يؤلف فيه أحد ولم يثبته حتى جاء تلميذك هذا فكتبه لتكافئه الدولة على كفره بدينها الرسمى ، وطعنه بقرآنها ، بإعطائه شهادة الدكتوراه ، وتسليمه أبناء المسلمين ليلقنهم هذه الآراء ، على أنها علم وفضل ، وأن الذى لا يحفظها ، ويعيدها يوم الامتحان ، يرسب فى صفه إن طفا الطلاب؟

وحرية الفكر ؟ ما حرية الفكر يا هذا ؟ كيف تفهمها ؟ أكلما طاف برأسك طائف من هوى ، أثبته على الورق ، وخرجت به مزهواً على الناس ، وقلت ، هذى حرية الفكر ؟

(١) وقد عربه بعضهم بـ (الطليم) ، وبعض العجمة أفصح من بعض التعريب!

أما إنه ليجيء في فكري أنا الآن كلام عنك ، لولا أني لم أعرض هذه المقالة على الأستاذ الزيات ، وأني أخاف أن يغضب إن حططت عليك بثقلي — لفلته ، فما تركتك تستطيع أن تمشي في الجامعة ، أو تتراءى للطلاب ... فارتقبه فكل شيء له أوان ... وما أنت بمعجز الله في الجامعة وقد أهلك فرعون وهامان وأبا جهل ...

ومالك تكره أن أسبك بعلم ، وتسب أنت الله عدواً بغير علم ؟ ولا تحب أن أقول في كتابك الذي لفقته كلمة الحق ، وتقول أنت في كتاب الله كلمة الباطل ؟ وما لك لا تجرؤ أن تقول لواحد من هؤلاء الكتاب ، أخرج كتاباً تلقاه الناس بالقبول : إنك تكذب ، وتنسب الكذب إلى الله المنتقم الجبار ؟

أعزك ويلك حلمه عنك ، وأنه مدّ لك حتى صرت تعطى الدكتوراه وأنت لم تأخذها ، وتمنح العلم وأنت لا تملكه ، وتؤلف في البلاغة ، وما أنت منها في شيء ، ولا أثر عنك بيان نعطى على بيان الجاحظ وأبي حيان والرافعي والزيات ، ولا أنت صاحب شعر ولا نثر ، وقصارى أمرك أنك أدخلت على طلاب لا يفهمون من البلاغة إلا بمقدار ما يفهم من الصحافة صاحب (القبس) ، فخرقت عليهم ، وزعمت لهم أنك إمامها وأنك مؤذنها وخطيبها ، ورأيتهم صدقوا قولك فزدت فادعيت أنك باني مسجدها ورافع منارتها ، ولو أنت ادعيت النبوة فيهم ، ما وجدت منهم من يكذبك أو يكفر بك ، ما داموا يأخذون منك الدرجات في الامتحان ، ثم يخرجون كما دخلوا لا أنت علمتهم ولا هم تعلموا منك ... وكيف يتعلمون وقد جعلت دروس البلاغة عياً ، والفصاحة عامية وكانت دروسك ذلك الخزي ... الذي نشره في الرسالة الأستاذ المهاري فكان تسلية لقراء الرسالة وفكاهة ضحكوا عليك به شهراً ؟

لقد كان كفراً مبتكراً منك حين زعمت في تلك الدروس ... أن الله قال للحمد يا أخي ، فكيف قمت بك القريحة اليوم ، فلم تأت إلا بكفر عتيق قيل في مصر من عشرين سنة ، وقيل في مكة قبل الهجرة ، فكان سخرية الأولين والآخرين ؟ ولقد بعثت يومئذ من يدافع عنك في الرسالة ، فلم يبلغ به أدبه مع الله ودينه ، ولا علمه وبلاغته ولا معرفته بتصريف الكلام ، إلا أن يحتج على جواز زعمك أن الله قال للحمد ، يا أخي ، يقول الحمار لحماره ، يا أخي ... ولم أرد عليه لأني لم أكن أعرف ، قبل أن أسمع ردّه هذا ، شيئاً من لغة الحمارين والحمير ... ولا قواعد المناظرة في لسانهم .

* * *

وبعد ، فما أريد اليوم الرد على هذين الرجلين ولا تأديبهما إنما أردت تنبيه رجال المعارف في المملكة التي دينها الرسمي الإسلام وعميد الكلية العربي المسلم الذي اسمه الدكتور عزام ، إلى هذين المدرسين اللذين يعلنان الكفر بالله ، والطعن في القرآن ، والإهانة لكل مسلم يرى في مصر دار الأزهر ، ومثابة العلم ، ومنزل الملك الصالح الفاروق ، وهما يأخذان أموال الأمة ليلقنا أبناء مصر وأبناء الشام والعراق والحجاز واليمن والمغرب ، وكل بلد يبعث بأبنائه إلى هذه الجامعة مثل هذه الكفريات ، التي يعتقدانها ويكتبانها ويصران عليها ولا يخافان فيها الله ولا الحكومة ولا العلماء ولا العامة ..

وأنا أرقب ما تصنع وزارة المعارف ، وما يصنع الأزهر وعلماؤه ، لأستخير الله فيما أصنع أنا بعد ، وما يصنعه هذا القلم الضعيف في نفسه القوي بالله وبدينه وبقرآنه .

وما بسيفي أضرب ، ولكن بسيف محمد !

(القاهرة) علي الطنطاوي

اطلب من دار الرسالة

ومن جميع المكتبات العربية

١ — تاريخ الأدب العربي

٢ — في أصول الأدب

٣ — دفاع عن البلاغة

٤ — آلام فرتر .....

٥ — رفائيل .....